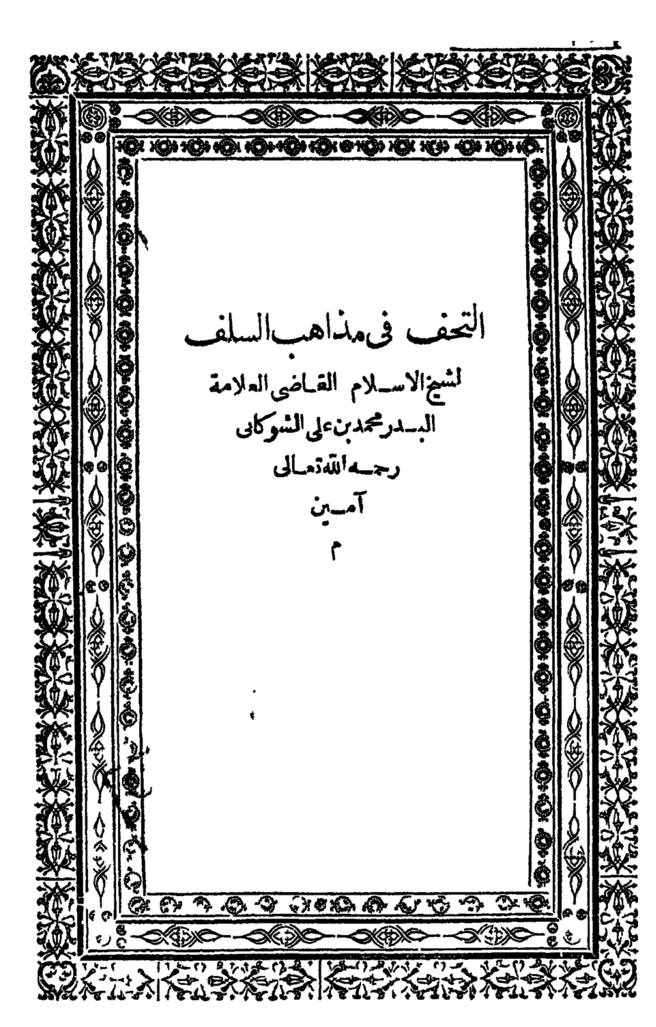


التحف في مذاهب السلف

لشيخ الاسلام القاضي العلامة

البدر محمد بن علي الشوكاني

رحمه الله تعالى

آمين

م



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير الانام وآله الكرام ورضى الله عن صحبه الاعلام ﴿وبعد﴾ فانه وصل سؤال من بعض الاعلام الساكنين ببلد الله الحرام وهذا لفظه

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ الحمد لله رب العالمين ما يقول فقهاء الدين وعلماء المحدثين وجماعة الموحدين فى آيات الصفات وأخبارها اللاتى نطق بها الكتاب العظيم وأفصحت عنها سنة الهادى الى صراط مستقيم هل اقرارها وامرارها واجراؤها على الظاهر بغير تكييف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل عقيدة الموحدين وتصديق بالكتاب المبين واتباع بالسلف الصالحين أو هذا مذهب المجسمين وما حكم من أوّل الصفات ونفى ما وصف الله به نفسه ووصفه به نبيه وتأيد بالنصوص واتفق عليه الخصوص من أن الله سبحانه فى سمائه مستو على عرشه بائن من خلقه وعلمه فى كل مكان والدليل آيات الاستواء والصعود والرفع وقوله تعالى أأمنتم من فى السماء ومن السنة حديث الجارية

والنزول

والنزول وعمران بن حصين وقوله صلى الله عليه وسلم ألا تأمنونى وأنا أمين من فى السماء وغير ذلك من الآيات المتواترة والاحاديث المتكاثرة وأوّل الآيات وجعل الاستواء استيلاء وأوّل النزول بالرحمة وهكذا جعل التأويل عليه مطردة فى سائر نصوص الصفات وعاش فى ظلام العقل فى الجهل والشبهات واذا قيل له أين الله أجاب بانه لا يقال أين الله الله لم يكن له مكان كما هو جواب فريق المضلين فهل هذا جواب الجهميين والمريسيين وأضلاء المتكلمين أم اختيار علماء السلفيين أفيدونا بجواب رجاء الثواب يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها فان هذا المقام طال فيه النزاع وحارت فيه الافهام وزلت الاقدام وكل يدّعى الصواب بزخرف الجواب فأبينوا المدعى بالدليل وبينوا طريق الحق بالتفصيل والتطويل ضاعف الله لكم الاجور ووقاكم الشرور والسلام عليكم ورحمة الله ﴿وأقول﴾ اعلم ان الكلام فى الآيات والاحاديث الواردة فى الصفات قد طالت ذيوله وتشعبت أطرافه وتناسبت فيه المذاهب وتفاوتت فيه الطرائق وتخالفت فيه النحل وسبب هذا عدم وقوف المنتسبين الى العلم حيث أوقفهم الله ودخولهم فى أبواب لم يأذن الله لهم بدخولها ومحاولتهم لعلم شىء استأثر الله بعلمه حتى تفرقوا افرقا وتشعبوا شعبا وصاروا أحزابا وكانوا فى البداية ومحاولة الوصول الى ما يتصوّرونه من العامة مختلفى المقاصد متباينى المطالب فطائفة وهى أخف هذه الطوائف المتكلمة علم مالم يكلفها الله سبحانه بعلمه اثما وأقلها عقوبة وجرما وهى التى أرادت الوصول الى الحق والوقوف على الصواب لكن سلكت فى طريقة متوعرة وصعدت فى الكشف عنه الى عقبة كؤد لا يرجع من سلكها سالما فضلا أن يظفر فيها بمطلوب صحيح ومع هذا أصلوا أصولا ظنوها حقا فدفعوا بها آيات قرآنية وأحاديث صحيحة نبوية واعلوا فى ذلك الدفع بشبه واهية وخيالات مختلة وهؤلاء هم طائفتان الطائفة الاولى هى الطائفة التى غلت فى التنزيه فوصلت الى حد يقشعر عنده الجلد ويضطرب له القلب من تعطيل الصفات الثابتة بالكتاب والسنة ثبوتا أوضح من شمس

النهار وأظهر من فلق الصباح وظنوا هذا من صنيعهم موافقا للحق مطابقا لما يريده الله سبحانه فضلوا الطريق المستقيمة وأضلوا من رام سلوكها والطائفة الاخرى هي غلت في اثبات القدرة غلوا ابلغ الى حد أنه لا تأثير لغيرها ولا اعتبار بما سواها وأفضى ذلك الى الجبر المحض والقسر الخالص فلم يبق لبعث الرسل وانزال الكتب كثير فائدة ولا يعود ذلك على عباده بعائدة وجاؤا بتأويلات للآيات البينات ومحاولات لحجج الله الواضحات فكانوا كالطائفة الاولى في الضلال والاضلال مع ان كلا المقصدين صحيح ووجه كل منهما صبيح لولا ماشانه من الغلو القبيح وطائفة توسطت ورامت الجمع بين الضب والنون وظنت انها وقفت بمكان بين الافراط والتفريط ثم أخذت كل طائفة من هذه الطوائف الثلاث تجادل وتناضل وتحقق وتدقق في زعمها وتجول على الاخرى وتصول بما ظفرت مما يوافق ماذهبت اليه وكل حزب بما لديهم فرحون وعند الله تلتقي الخصوم ﴿ومع هذا﴾ فهم متفقون فيما بينهم على ان طريق السلف أسلم ولكن زعموا ان طريق الخلف أعلم فكان غاية ماظفروا به من هذه الاعلمية لطريق الخلف ان تمنى محققوهم وأذكياؤهم في آخر أمرهم دين العجائز وقالوا هنيئا للعامة فتدبر هذه الاعلمية التي حاصلها أن يهني من ظفر بها للجاهل لاهل الجهل البسيط ويتمنى انه في عدادهم وممن يدين بدينهم ويمشي على طريقهم فان هذا ينادي بأعلى صوت ويدل بأوضح دلالة على ان هذه الاعلمية التي طلبوها الجهل خير منها بكثير فما ظنك بعلم يقر صاحبه على نفسه ان الجهل خير منه وينتهي عند البلوغ الى غايته والوصول الى نهايته أن يكون جاهلا به عاطلا عنه ففي هذا عبرة للمعتبرين وآية بينة للناظرين فهلا عملوا على جهل هذه المعارف التي دخلوا فيها بادئ بدء وسلموا من تبعاتها وأراحوا أنفسهم من تعبها وقالوا كما قال القائل

أرى الامر يفضي الى آخر * يصير آخره أولا

وربحوا الخلوص من هذا التمني والسلامة من هذه التهنئة للعامة فان العاقل

لا يتمنى

لا يتمنى رتبة مثل رتبته أو دونها ولا يهني ان هو دونه أو مثله ولا يكون ذلك الا لمن رتبته أرفع من رتبته ومكانه أعلى من مكانه فيالله العجب من علم يكون الجهل البسيط أعلى رتبة منه وأفضل مقدارا بالنسبة اليه وهل سمع السامعون بمثل هذه الغريبة أونقل الناقلون ما يماثلها أو يشابهها واذا كان حال هذه الطائفة التى قد عرفناك أخف هذه الطوائف تكلفا وأقلها تبعة فما ظنك بما عداها من الطوائف التى قد ظهر فساد مقاصدها وتبين بطلان مواردها ومصادرها كالطوائف التى أرادت بالمظاهر التى تظاهرت به كبار الاسلام وأهله والسعى فى التشكيك فيه بايراد الشبه وتقرير الامور المفضية الى القدح فى الدين وتنفير أهله عنه وعند هذا تعلم ان

خير الامور السالفات على الهدى * وشر الامور المحدثات البدائع

وان الحق الذى لا شك فيه ولا شبهة هو ما كان عليه خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقد كانوا رحمهم الله وأرشدنا الى الاقتداء بهم والاهتداء بهديهم يمرون أدلة الصفات على ظاهرها ولا يتكلفون علم ما لا يعلموا ولا يتأولون وهذا المعلوم من أقوالهم وأفعالهم والمتقرر من مذاهبهم لا يشك فيه شاك ولا ينكره منكر ولا يجادل فيه مجادل وان نزغ بينهم نازغ أو نجم فى عصرهم ناجم أوضحوا للناس أمره وبينوا لهم انه على ضلالة وصرحوا بذلك فى المجامع والمحافل وحذروا الناس من بدعته كما كان منهم لما ظهر معبد الجهنى وأصحابه وقالوا ان الامر أنف وبينوا ضلالته وبطلان مقالته للناس فحذروه الا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة وهكذا كان من بعدهم يوضح للناس بطلان أقوال أهل الضلال ويحذرهم منها كما فعله التابعون رحمهم الله بالجعد بن درهم ومن قال بقوله وانتحل نحلته الباطلة ثم مازالوا هكذا لا يستطيع المبتدع فى الصفات ان يتظاهر ببدعته بل يكتمونها كما تتكتم الزنادقة بكفرهم وهكذا سائر المبتدعين فى الدين على اختلاف البدع وتفاوت المقالات الباطلة ولكنا نقتصر ههنا على الكلام فى هذه المسألة التى ورد السؤال عنها وهى مسألة

الصفات وما كان من المتكلمين فيها بغير الحق المتكلف علم مالم يأذن الله بان يعلموه وبيان ان امرار أدلة الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وان كل من أراد من نزاع المتكلفين وشذاذ المحدثين والمتأولين أن يظهر ما يخالف المرور على ذلك الظاهر قاموا عليه وحذروا الناس منه وبينوا لهم انه على خلاف ماعليه أهل الاسلام وسائر المبتدعين في الصفات القائلون بأقوال تخالف ماعليه السواد الاعظم من الصحابة والتابعين وتابعيهم في خبايا وزوايا لا يتصل بهم الا مغرور ولا ينخدع بزخارف أقوالهم الا مخدوع وهم مع ذلك على تخوف من أهل الاسلام وترقب لنزول مكروه بهم من حماة الدين من العلماء الهادين والرؤساء والسلاطين حتى نجم ناجم المحنة وبرق بارق الشر من جهة العباسية ومن لهم في الامر والنهي والاصدار والايراد أعظم صولة وذلك في الدولة بسبب قاضيها أحمد بن أبي دواد فعند ذلك أطلع المتكلمون في تلك الزوايا رؤسهم وانطلق ما كان قد خرس من ألسنتهم وأعلنوا بمذاهبهم الزائفة وبدعهم المضلة ودعوا الناس اليها وجادلوا عنها وناضلوا المخالفين لها حتى اختلط المعروف بالمنكر واشتبه على العامة الحق بالباطل والسنة بالبدعة ولما كان الله سبحانه قد تكفل باظهار دينه على الدين كله وبحفظه عن التحريف والتغيير والتبديل أوجد من علماء الكتاب والسنة في كل عصر من العصور من يبين للناس دينهم وينكر على أهل البدع بدعهم فكان لهم ولله الحمد المقامات المحمودة والمواقف المشهودة في نصر الدين وهتك المبتدعين * وبهذا الكلام القليل الذي ذكرنا تعرف ان مذهب السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وتابعيهم هو ايراد أدلة الصفات على ظاهرها من دون تحريف لها ولا تأويل متعسف لشيء منها ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل يفضي اليه كثير من التأويل وكانوا اذا سأل سائل عن شيء من الصفات تلوا عليه الدليل وأمسكوا عن القال والقيل وقالوا قال الله هكذا ولا ندري بما سوى ذلك ولا نتكلف ولا نتكلم بما لم نعلمه ولا أذن الله لنا بمجاوزته فان أراد

المسائل أن يظفر منهم بزيادة على الظاهر زجروه عن الخوض فيما لا يعنيه ونهوه عن طلب ما لا يمكن الوصول الا بالوقوع في بدعة من البدع التي هي غير ما هم عليه وما حفظوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظه التابعون عن الصحابة وحفظه من بعد التابعين عن التابعين وكان في هذه القرون الفاضلة الكلمة في الصفات متحدة والطريقة لهم جميعا متفقة وكان اشتغالهم بما أمرهم الله بالاشتغال به وكلفهم القيام بفرائضه من الايمان بالله واقام الصلاة وايتاء الزكاة والصيام والحج والجهاد وانفاق الاموال في أنواع البر وطلب العلم النافع وارشاد الناس الى الخير على اختلاف أنواعه والمحافظة على موجبات الفوز بالجنة والنجاة من النار والقيام بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاخذ على يد الظالم بحسب الاستطاعة وبما تبلغ اليه القدرة ولم يشتغلوا بغير ذلك مما لم يكلفهم الله بعلمه ولا تعبدهم بالوقوف على حقيقته فكان الدين اذ ذاك صافيا عن كدر البدع خالصا عن شوب قذر التمذهب فعلى هذا النمط كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون وتابعوهم وبهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم اهتدوا وبأفعاله وأقواله اقتدوا فمن قال انهم تلبسوا بشئ من هذه المذاهب الناشئة في الصفات أو في غيرها فقد أعظم عليهم الفرية وليس بمقبول في ذلك فان أقوال الائمة المطلعين على أحوالهم العارفين بها الآخذين لها عن الثقاة الاثبات يرد عليه ويدفع في وجهه يعلم ذلك كل من له علم ويعرفه كل عارف فاشدد بذلك على هذا واعلم انه مذهب خير القرون ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ودع عنك ما حدث من تلك التمذهبات في الصفات وأرح نفسك من تلك العبارات التي جاء بها المتكلمون واصطلحوا عليها وجعلوها أصلا يرد كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان وافقاها فقد وافقا الاصول المتقررة في زعمهم وان خالفاها فقد خالفا الاصول المتقررة في زعمهم ويجعلون الموافق لها من قسم المقبول والمحكم والمخالف لها من قسم المردود والمتشابه ولو جئت بألف آية واضحة الدلالة ظاهرة المعنى أو ألف حديث مما

ثبت في الصحيح لم يبالوا به ولا رفعوا اليه رؤسهم ولا عدوه شيأ ومن كان منكرا لهذا
فعليه بكتب هذه الطوائف المصنفة في علم الكلام فانه سيقف على الحقيقة
ويسلم هذه الجملة ولا يتردد فيها ومن العجب العجيب والنبا الغريب ان تلك
العبارات الصادرة عن جماعة من أهل الكلام التي جعلها من بعدهم أصولا
لا مستند لها الا مجرد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة وكل فرد من
أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم وتخالفت عنده ادراكاتهم فهذا يقول حكم
العقل في هذا الكلام كذا وهذا يقول حكم العقل في هذا كذا ثم يأتي بعدهم
من يجعل ذلك الذي يعقله من تقلده ويقتدي به أصلا يرجع اليه ومعيار الكلام
الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه فيالله
وللمسلمين ويا للعلماء الدين من هذه الفواقر الموحشة التي لم يصب الاسلام
وأهله بمثلها وأغرب من هذا وأعجب وأشنع وأفظع انهم بعد ان جعلوا هذه
التعقلات التي تعقلوها على اختلافهم فيها وتناقضهم في معقولاتهم أصولا
ترد اليها أدلة الكتاب والسنة جعلوها معيار الصفات الرب تعالى فما تعقله هذا
من صفات الله قال به جزما وما تعقله خصمه منها قطع به فاثبتوا الله تعالى الشئ
ونقيضه استدلالا بما حكمت به عقولهم الفاسدة وتناقضت في شأنه ولم يلتفتوا
الى ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم بل ان وجدوا
ذلك موافقا لما تعقلوه جعلوه مؤيدا له ومقويا وقالوا قد ورد دليل السمع مطابقا
لدليل العقل وان وجدوه مخالفا لما تعقلوه جعلوه واردا على خلاف الاصل
ومتشابها وغير معقول المعنى ولا ظاهر الدلالة ثم قابلهم المخالف لهم بنقيض قولهم
فافترى على عقله بانه قد تعقل خلاف ما تعقله خصمه وجعل ذلك أصلا يرد اليه
أدلة الكتاب والسنة وجعل المتشابه عند أولئك محكما عنده والمخالف لدليل
العقل عندهم موافقا له عنده فكان حاصل كلام هؤلاء انهم يعلمون من صفات
الله ما لا يعلمه وكفاك بهذا وليس بعده شئ وعنده يتعثر القلم حياء من الله سبحانه
وتعالى وربما استبعد هذا مستبعد واستنكره مستنكر وقال ان في كلامي هذا

مبالغة وتهويلا وتشنيعا وتطويلا وان الامر أيسر من أن يكون حاصله هذا الحاصل وثمرته مثل هذه الثمرة التي أشرت اليها (فاقول) خذ جملة البلوى ودع تفصيلها واسمع ما يصك سمعك ولولا هذا الالحاح منك ما سمعته ولا جرى القلم بمثله هذا أبو علي وهو رأس من رؤسهم وركن من أركانهم واسطوانة من اسطواناتهم قد حكى عنه الكبار وآخر من حكى عنه ذلك صاحب شرح القلائد والله لا يعلم من نفسه الا ما يعلم هو فخذ هذا التصريح حيث لم تكتف بذلك التلويح وانظر هذه الجرأة على الله سبحانه وتعالى التي ليس بعدها جرأة فيا لام أبي على الويل أنهيق مثل هذا النهيق ويدخل نفسه في هذا المضيق وهل سمع السامعون بيمين أفجر من هذه اليمين الملعونة أو نقل الناقلون كلمة تقارب معنى هذه الكلمة المفتونة أو بلغ مفتخر الى ما بلغ هذا المختال الفخور أو وصل من يفجر في أيمانه الى ما تقارب هذا الفجور وكل عاقل يعلم ان أحدنا لو حلف ان ابنه أو أباه لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو لكان كاذبا في يمينه فاجرا فيها لان كل فرد من الناس ينطوي على صفات وغرائز لا يحب ان يطلع عليها غيره ويكره ان يقف على شئ منها سواه ومن ذا الذي يدري بما يجول في خاطر غيره ويستكن في ضميره ومن ادعى علم ذلك وانه يعلم من غيره من بني آدم ما يعلمه ذلك الغير من نفسه ولا يعلم ذلك الغير من نفسه الا ما يعلمه هذا المدعي فهو اما مصاب العقل يهذي بما لا يدري ويتكلم بما لا يفهم أو كاذب شديد الكذب عظيم الافتراء فان هذا أمر لا يعلمه غير الله سبحانه فهو الذي يحول بين المرء وقلبه وما توسوس به نفسه وما يسر عباده وما يعلنون وما يظهرون وما يكتمون كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز في غير موضع فقد خاب وخسر من أثبت لنفسه من العلم ما يعلمه الا الله من عباده فما ظنك من جاوز هذا وتعداه واقسم بالله سبحانه ان الله لا يعلم من نفسه الا ما يعلمه هو ولا يصح لنا ان نحمله على اختلال العقل فلو كان مجنونا لم يكن رأسا يقتدى بقوله جماعات من أهل عصره ومن جاء بعده وينقلون كلامه في الدفاتر ويحكون عنه في مقامات الاختلاف ولعل اتباع هذا ومن يقتدي بمذهبه لو قال لهم قائل

وأورد عليهم مورد قول الله عز وجل ولا يحيطون به علما وقوله ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال لهم هذا يرد ما قال صاحبكم ويدل على أن عينه هذه فاجرة مفتراة لقالوا هذا ونحوه مما يدل دلالته ويفيد مفاده من المتشابه الوارد على خلاف دليل العقل المدفوع بالاصول المقررة ﴿وبالجملة﴾ فاطالة ذيول الكلام في مثل هذا المقام اضاعة للاوقات واشتغال بحكاية الخرافات المبكيات لا المضحكات وليس مقصودنا ههنا الا ارشاد السائل الى ان المذهب الحق في الصفات هو امرارها على ظاهرها من غير تأويل ولا تحريف ولا تكلف ولا تعسف ولا جبر ولا تشبيه ولا تعطيل وان ذلك هو مذهب السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم ﴿فان قلت﴾ وماذا تريد بالتعطيل في مثل هذه العبارات التي تكررها فان أهل المذاهب الاسلامية يتنزهون عن ذلك ويتحاشون عنه ولا نصدق معناه ولا يوجد مدلوله الا في طائفة من طوائف الكفار وهم المنكرون للصانع ﴿قلت﴾ يا هذا ان كنت ممن له المام بعلم الكلام الذي اصطلح عليه طوائف من أهل الاسلام فانه لا محالة قد رأيت ما يقوله كثير منهم ويذكرونه في مؤلفاتهم ويحكونه عن أكابرهم ان الله سبحانه وتعالى وتنزه وتقدس لا هو جسم ولا جوهر ولا عرض ولا داخل العالم ولا خارجه فانشدك الله أي عبارة تبلغ مبلغ هذه العبارة في النفي وأي مبالغة في الدلالة على هذا النفي تقوم مقام هذه المبالغة فكان هؤلاء في فرارهم من شبهة التشبيه الى هذا التعطيل كما قال القائل

فكنت كالساعي الى مثعب * موائلا من سبل الراعد

أو * كالمستجير من الرمضاء بالنار * والهارب من لسعة الزنبور الى لدغة الحية ومن قرصة النملة الى قضمة الاسد وقد يغني هؤلاء وأمثالهم من المتكلمين المتكلفين كلمتان من كتاب الله تعالى وصف بهما نفسه وأنزلهما على رسوله وهما ولا يحيطون به علما وليس كمثله شئ فان هاتين الكلمتين قد اشتملتا على فصل الخطاب وتضمنتا ابعاد بين أولى الالباب السالكين في تلك الشعاب فالكلمة

منها دلت دلالة بينة على ان كل ما تكلم به البشر فى ذات الله وصفاته على وجه التدقيق ودعاوى التحقيق فهو مشوب بشعبة من شعب الجهل مخلوط بخلوط هى منافية للعلم ومباينة له فان الله سبحانه قد أخبرنا انهم لا يحيطون به علما فمن زعم ان ذاته كذا أو صفته كذا فلا شك ان صحة ذلك متوقفة على الاحاطة وقد نفيت عن كل فرد من الافراد علما فكل قول من أقوال المتكلمين صادر عن جهل اما من كل وجه أو من بعض الوجوه وما صدر عن جهل فهو مضاف الى جهل ولا سيما اذا كان فى ذات الله وصفاته فان ذلك من المخاطرة فى الدين مالم يكن فى غيره من المسائل وهذا يعلمه كل ذى علم ويعرفه كل عارف ولم يحط بفائدة هذه الآية ويقف عندها ويقتطف من ثمراتها الا الممرون الصفات على ظاهرها المريحون أنفسهم من التكلفات والتعسفات والتأويلات والتحريفات وهم السلف الصالح كما عرفت فهم الذين اعترفوا بالاحاطة وأوقفوا أنفسهم حيث أوقفها الله وقال الله أعلم بكيفية ذاته وماهية صفاته بل العلم كله له وقالوا كما قال من قال ممن اشتغل بطلب هذا المحال فلم يظفر بغير القيل والقال

العلم للرحمن جل جلاله * وسواه فى جهلاته يتغمغم

ما للتراب وللعلوم وانما * يسعى ليعلم انه لا يعلم

بل اعترف كثير من هؤلاء المتكلفين بانه لم يستفد من تكلفه وعدم قنوعه بما قنع به السلف الصالح الا مجرد الحيرة التى وجد عليها غيره من المتكلفين فقال

وسرحت طرفى بين تلك المعالم * فلم أر الا واضعا كف حائر

* على ذقن أو قارعا سن نادم *

وها أنا أخبرك عن نفسى وأوضح لك ما وقعت فيه فى أمسى فانى فى أيام الطلب وعنفوان الشباب شغلت بهذا العلم الذى سموه تارة علم الكلام وتارة علم التوحيد وتارة علم أصول الدين وأكببت على مؤلفات الطوائف المختلفة منهم ورمت الرجوع بفائدة والعود بعائدة فلم أظفر من ذلك بغير الخيبة والحيرة وكان ذلك من الاسباب التى حببت الى مذهب السلف على انى كنت قبل ذلك

عليه ولكن أردت ان أزداد منه بصيرة وبه شغفا وقلت عند ذلك فى تلك المذاهب

وغاية ماحصلته من مباحثي * ومن نظري من بعد طول التدبر
هو الوقف مابين الطريقين حيرة * فما علم من لم يلق غير التحير
على انني قد خضت منه غماره * وماقنعت نفسي بغير التبحر

﴿وأما الكلمة﴾ وهي ليس كمثله شيء فبها يستفاد نفي المماثلة فى كل شيء فيدفع بهذه الآية في وجه المجسمة وتعرف به الكلام عند وصفه سبحانه بالسميع البصير وعند ذكر السمع والبصر واليد والاستواء ونحو ذلك مما اشتمل عليه الكتاب والسنة فتقرر بذلك الاثبات لتلك الصفات لا على وجه المماثلة والمشابهة للمخلوقات فيدفع به جانبي الافراط والتفريط وهما المبالغة فى الاثبات المفضية الى التجسيم والمبالغة فى النفي المفضية الى التعطيل فيخرج من بين الجانبين وغلو الطرفين حقية مذهب السلف الصالح وهو قولهم باثبات ما أثبته لنفسه من الصفات على وجه لا يعلمه الا هو فانه القائل ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴿ومن جملة الصفات﴾ التي أمرّها السلف على ظاهرها وأجروها على ماجاء به القرآن والسنة من دون تكلف ولا تأويل صفة الاستواء التي ذكرها السائل يقولون نحن نثبت ما أثبته الله لنفسه من استوائه على عرشه على هيئة لا يعلمها الا هو وكيفية لا يدري بها سواه ولا نكلف أنفسنا غير هذا فليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا تحيط عباده به علما وهكذا يقولون فى مسألة الجهة التي ذكرها السائل وأشار الى بعض مافيه دليل عليها والادلة فى ذلك طويلة كثيرة فى الكتاب والسنة وقد جمع أهل العلم منها لاسيما أهل الحديث مباحث طولوها بذكر آيات قرآنية وأحاديث صحيحة وقد وقفت من ذلك على مؤلف بسيط فى مجلد جمعه مؤرخ الاسلام الحافظ الذهبي رحمه الله استوفى فيه كل مافيه دلالة على الجهة من كتاب أوسنة أوقول صاحب أوتابعي والمسئلة أوضح من ان تلتبس على عارف وأبين من ان يحتاج فيها الى التطويل ولكنها لما وقعت فيها تلك القلاقل والزلازل الكائنة بين بعض الطوائف الاسلامية كثر الكلام

فيها وفي مسئلة الاستواء وطال سيما بين الحنابلة وغيرهم من أهل المذاهب فلهم في ذلك الفتن الكبرى والملاحم العظمى وما زالوا هكذا في عصر بعد عصر والحق هو ما عرّفناك من مذهب السلف الصالح فالاستواء على العرش والكون في تلك الجهة قد صرح به القرآن الكريم في مواطن يكثر حصرها ويطول نشرها وكذلك صرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم في غير حديث بل هذا مما يجده كل فرد من أفراد في نفسه ويحسه في فطرته وتجذبه اليه طبيعته كما تراه في كل من استغاث بالله سبحانه وتعالى والتجأ اليه ووجه أدعيته الى جنابه الرفيع وعزه المنيع فانه يشير عند ذلك بكفه أو يرمي الى السماء بطرفه ويستوي في ذلك عند عروض أسباب الدعاء وحدوث بواعث الاستغاثة ووجود مقتضيات الازعاج وظهور دواعي الالتجاء عالم الناس وجاهلهم والماشي على طريقة السلف والمقتدي باهل التأويل القائلين بان الاستواء هو الاستيلاء كما قال جمهور المتأولين والاقبال كما قاله أحمد بن يحيى ثعلب والزجاج والفراء وغيرهم أو كناية عن الملك والسلطان كما قاله آخرون فالسلامة والنجاة في امرار ذلك على الظاهر والاذعان بان الاستواء والكون على ما نطق به الكتاب والسنة من دون تكييف ولا تكلف ولا قيل ولا قال ولا قصور في شيء من المقال فن جاوز هذا المقدار بافراط أو تفريط فهو غير مقتد بالسلف ولا واقف في طريق النجاة ولا معتصم عن الخطا ولا سالك في طريق السلامة والاستقامة وكما نقول هكذا في الاستواء والكون في تلك الجهة فكذا نقول في مثل قوله سبحانه وهو معكم أينما كنتم* وقوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم وفي نحو ان الله مع الصابرين ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون الى ما يشابه ذلك ويماثله ويقاربه ويضارعه فنقول في مثل هذه الآيات هكذا جاء القرآن ان الله سبحانه مع هؤلاء ولا نتكلف تأويل ذلك كما يتكلف غيرنا بان المراد بهذا الكون وهذه المعية هو كون العلم ومعيته فان هذه شعبة من شعب التأويل تخالف مذاهب السلف

وتباين ما كان عليه الصحابة والتابعون وتابعوهم واذا انتهيت الى السلامة فى مداك فلا تجاوزه

وهذا الحق ليس به خفاء * فدعنى من بنيات الطريق

وقد هلك المتنطعون ولا يهلك على الله الا هالك وعلى نفسها براقش تجنى وفى هذه الجملة وان كانت قليلة ما يغنى من شح بدينه وتحرص عليه عن تطويل المقال وتكثير ذيوله وتوسيع دائرة فروعه وأصوله والهداية من الله والله أعلم انتهت الرسالة المفيدة كما وجدت * ولله الحمد أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وأصلى وأسلم على محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم

تم طبع هذه الرسالة البهيه المشتملة على مذاهب أئمة السلف رؤساء البريه عليهم من الله الرضوان والتحيه وكل تابع لهم فى العقيدة وحسن النيه وكان ذلك على ذمة الفاضل الكامل الناجح المتمسك بعقيدة السلف الصالح حضرة الحاج عبد القادر مصطفى التلمسانى بلغه الله جميع ما يرجوه من الامانى بمطبعة الراجى من الله كمال الوفا حضرة محمد افندى مصطفى فى أواخر شهر شوال سنة ١٣١٠ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه

آمين